

يا قدس!

نشرة أكاديمية ثقافية

النشرة الاولى - كانون الثاني 2016



مركز دراسات القدس
جامعة القدس

يا قدس!

نشرة أكاديمية ثقافية

النشرة الأولى - كانون الثاني 2016

هيئة التحرير:

أ.د. شكري العبد

مدير مركز دراسات القدس

د. مها السمان

أستاذ مساعد، مركز دراسات القدس

الفريق المساعد:

زهرة الخالدي

مجدي إبراهيم الحسيني

مجد عدنان الحسيني

التصوير: معاذ الخطيب

التصميم: أبي أبو سعدة

مركز دراسات القدس

خان تنكز، سوق القطانين

هاتف: +972 (2) 6287517

فاكس: +972 (2) 6284920

الصفحة الإلكترونية:

www.jerusalem-studies.alquds.edu



CENTRE FOR JERUSALEM STUDIES



كلمة أ.د. عماد أبو كشك - رئيس جامعة القدس
كلمة أ.د. شكري العبد ود. مها السمان - المحرران
التعريف بمركز دراسات القدس - جامعة القدس

مقالات بالعربية

خطوات أولية لدراسة آثار بركة البطرك
هاني نور الدين وغسان نجاجرة
سجون القدس في القرن السادس عشر
خضر سلامة
لمحة عن الزخارف الجصية في العمارة الإسلامية
وعن صناعة الشبابيك الجصية في عمارة المسجد الأقصى المبارك
يوسف النتشة

ذكريات وخواطر

يوم دعيت للتحقيق في متحف الآثار الفلسطيني (روكفلر)
جاءك برسكيان
قليلٌ من النور كثيرٌ من الوجع - من يومياتي مع المدينة
نسب أديب حسين

مقالات بالانكليزية

Wait and Hear, Jerusalem!

Petra R. Klose

Where is “There” in Jerusalem?

Irfan Khawaja

Why Jerusalem, Why Separated, Why Walled?

A Call for Spatial Justice

Maha Samman

إنه لمن دواعي سروري أن أكتب هذه المقدمة للعدد الأول من نشرة مركز دراسات القدس "يا قدس!". تقع البلدة القديمة في قلب القدس، التي قضيت فيها أيام لا تعد ولا تحصى عندما كنت شاباً، وأعرف جيداً الجدران الذهبية القديمة والطرق المؤدية إلى هذا السوق أو ذاك، وأصوات التجار وهم يبيعون بضاعتهم، ومحلات بيع التذكارات والهدايا والتحف الخشبية، والكنيسة والمسجد، ورائحة حرق البخور في الحي المسيحي. مدينة القدس هي في قلب ووجدان جامعة القدس، جامعة العاصمة والمدينة المقدسة، التي نستمد اسمنا وهويتنا منها، ونحن دائماً فخورون بالحفاظ على وجودنا فيها وخاصة في البلدة القديمة.

كانت القدس وسوف تبقى دائماً في مركز الحياة الفلسطينية. هي من أهم المدن في العالم كونها تحمل أهمية دينية كبيرة لأكثر من نصف سكان العالم. وهي واحدة من أقدم مدن العالم المأهولة، ونعرف ذلك بسبب الأدلة الأثرية التي تشير إلى أنه قد تم الإستيطان فيها ربما منذ وقت مبكر من منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. والقدس هي مدينة ذات تقاليد عريقة وفريدة من نوعها، ونحن فخورون كفلسطينيين بمدينتنا العظيمة. وأيضاً بأن تكون جامعة القدس هي الجامعة الفلسطينية في العاصمة.

جامعة القدس هي أنشط وأكبر مؤسسة فلسطينية في المدينة المقدسة وتعمل على خدمة السكان الفلسطينيين، وسمحوا لي أن أسلط الضوء على بعض المرافق والنشاطات. يقدم مركز العمل المجتمعي في قلب البلدة القديمة في القدس خدمات قانونية، وإجتماعية وتربوية ونسوية للمحتاجين. ويكرس مركز تنمية المجتمع خدماته لتمكين النساء الفلسطينيات. ويقدم مركز دراسات القدس برنامج ماجستير بتوجه متعدد التخصصات حول المدينة. وهناك أيضاً كلية هند الحسيني للبنات في الشيخ جراح ومعهد الطفل في حرم الجامعة في بيت حنينا. ونحن فخورون جداً بدائرة الموسيقى الموجودة في كلية هند الحسيني لأنها تحتوي على برنامج فريد من نوعه في فلسطين والذي يعلم الموسيقى على المستوى الجامعي. وهناك مواقع أخرى تابعة للجامعة مثل المكتبة العامة الموجودة قرب باب العامود، ووحدة دراسات الآثار المقدسية وبركة البطرك التي سيتم تطويرها كموقع ثقافي. وسيتم افتتاح برنامج تكنولوجيا معلومات للدراسات الثنائية في مبنى قريب من باب الملك فيصل في البلدة القديمة.

تنبثق رؤيتنا للأعوام القادمة من ضرورة تقوية وتعزيز وجودنا في القدس من أجل خدمة الجمهور الفلسطيني بشكل أفضل وتوسيع برامجنا الأكاديمية واللامنهجية، ومن أجل تطوير مواقع الموروث الثقافي والتاريخي في البلدة القديمة.

نتطلع للتوسع في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وأن نجعل هذا البرنامج مركزاً دولياً لطلاب اللغة العربية، وأن نستمر في دعم المبادرات البحثية التي تتعمق في دراسة المدينة من النواحي التاريخية والثقافية والسياسية والدينية.

وبإصدار هذه النشرة نود أن نفتح نافذة على القدس من منظور الأكاديميين العاملين في جامعة القدس والقاطنين في المدينة. فمن المناسب أن يكون لدى جامعة العاصمة كل هذه المواد المهمة للإصدار والنشر.

أ. د. عماد أبو كشك
رئيس جامعة القدس

نرحب بقاء العدد الأول من نشرة "يا قدس!" الصادرة عن مركز دراسات القدس، جامعة القدس.

تم تأسيس هذه النشرة لتشكّل مساحة للنقاش الأكاديمي وتبادل المعلومات حول القدس من قبل الفلسطينيين القاطنين في الوطن أو من هم في الخارج، بالإضافة إلى الأجناب المهتمين بمدينة القدس. ففضلوا بالاشتراك معنا بالاحتفال في إنطلاق نشرة "يا قدس!".

في هذا العدد، نقدم المعلومات حول مركز دراسات القدس ونشاطاته. وتتضمن النشرة أيضا مقالات قصيرة بالعربية والإنكليزية كتبها أكاديميون وباحثون وطلاب وآخرون مهتمون بالمدينة وبالمجتمع المقدسي. ولم يتم التركيز على مواضيع محددة، إذ ترك المجال للمشاركين في النشرة لإختيار المواضيع التي تجذب اهتمامهم ضمن موضوع مدينة القدس بشكل عام.

نشكر رئيس الجامعة، البروفيسور عماد أبو كشك، لدعمه ولتقديمه بعض الكلمات عن المؤسسات المختلفة التابعة للجامعة في القدس. ونريد أيضا أن نشكر د. صفاء ناصر الدين، نائب الرئيس لشؤون القدس، على دعمها المستمر وأيضا موظفي مركز دراسات القدس لمساعدتهم في تحضير هذه النشرة، نريد إبتهاز هذه الفرصة لتقديم الشكر لجميع الذين ساهموا في هذا العدد الأول لنشرة "يا قدس!".

وبالرغم من الوضع الذي يطغى على البلدة القديمة في القدس هذه الأيام، فإننا في مركز دراسات القدس ملتزمون بتواجدنا هنا في سوق القطانين حيث نقدم الخدمات الأكاديمية والثقافية، على أمل أن تصبح نشرة "يا قدس!" ملتقى الأصوات العديدة المتواجدة في القدس وخارجها حول القضايا الهامة المرتبطة بهذه المدينة وبالقضية الفلسطينية.

ونريد إطلاق دعوة جديدة لمشارككم من خلال كتابة مقالات أو تعليقات للنشرة القادمة من "يا قدس!". يمكن الكتابة باللغتين العربية أو الانجليزية بحيث لا تزيد المقالة عن 1200 كلمة حول موضوع يتعلق بمدينة القدس. وسيكون الموعد الأخير لتقديم هذه المقالات هو 20 أيار 2016 .

يمكن قراءة هذه النشرة على الموقع الإلكتروني التالي : www.jerusalem-studies.alquds.edu

شكرا لكم، ويسرنا جدا أن تكونوا من قراء نشرة "يا قدس!".

المحرران

أ.د. شكري العبد، مدير عام مركز دراسات القدس

shukriabed@gmail.com

د. مها السمان، أستاذ مساعد، مركز دراسات القدس

mahawad99@yahoo.com

التعريف بمركز دراسات القدس - جامعة القدس

يقع مركز دراسات القدس، داخل أسوار القدس، طريق الواد، داخل سوق القنطين، في مبنى مملوكي من القرن الرابع عشر وفيه حماما العين والشفاء. ومركز دراسات القدس هو واحد من المراكز التابعة لجامعة القدس.



تأسس مركز دراسات القدس عام 1998 كجزء من جامعة القدس على يد أ.د. سري نسبية والسيدة هدى الإمام من أجل دفع عجلة المعرفة حول المزايا المتعددة للمدينة من النواحي التاريخية والعمرانية والسكانية والتربوية

وحول التكوين الديني والظروف الاجتماعية والإقتصادية والجغرافية والسياسية المحيطه بها. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف، تم وضع الأسس للعديد من النشاطات الأكاديمية مثل برنامج الماجستير في الدراسات المقدسية، وبرنامج اللغة العربية لغير الناطقين بها، وبرنامج الجولات وبرامج النشاطات الثقافية وقد تم مؤخراً تأسيس برنامج القدس للأبحاث، كما أننا قمنا ومنذ بداية هذا العام بإحياء فكرة المحاضرات الأكاديمية الشهرية العامة.

وبالإضافة إلى الجو الأكاديمي والحيوي الذي يتسم به مركز دراسات القدس فإن المركز يستقبل مجموعات مختلفة من الزوار من كل أنحاء العالم الذين يرغبون بالتعرف على المركز وعلى الموقع التاريخي الذي يحتويه. هناك طاقم مكون من عشرة موظفين يكرسون معلوماتهم ومعرفتهم وخبراتهم وجهودهم بشكل يومي لإيصال رسالة المركز عن طريق نشر المعلومات الدقيقة والمفيدة حول إحدى أهم المدن في العالم- مدينة القدس.

يعمل المركز على توفير برامج أكاديمية وثقافية وهي:

ماجستير ودبلوم في الدراسات المقدسية

برنامج الماجستير في الدراسات المقدسية هو برنامج يتبنى توجه متعدد التخصصات ويُدرّس بمسارين باللغة العربية والإنجليزية. يمكن هذا البرنامج الطلاب من زيادة معرفتهم بالتطورات الرئيسية التي حدثت في تاريخ القدس ومجتمعها وأحوالها السياسية والحضرية. ويركز أيضا على الوضع الحالي والمشاكل التي تواجه القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي. ويستفيد من هذا البرنامج حملة الدرجة الجامعية الأولى في كافة التخصصات والباحثين والمهتمين بموضوع القدس من الداخل والخارج،



عرباً وأجنبياً. وللحصول على درجة الماجستير يتوجب على الطالب إنهاء 36 ساعة معتمدة.



يسعى برنامج القدس للأبحاث إلى تعزيز المعرفة وتشجيع البحث العلمي للطلبة والباحثين وأعضاء هيئة التدريس من خلال منهج متعدد التخصصات وتشجيع إشراك جيل الشباب للبحث في القضايا المتعلقة بالمدينة ومجتمعها. كما ويسعى هذا البرنامج لتوفير بيئة تعليمية حيوية وتحفيز الإبداع وتبادل الأفكار وحرية التعبير والإبتكار والإنفتاح على الأفكار الجديدة. وهو يكمل البرامج القائمة في مركز دراسات القدس من خلال زيادة الإنتاج الفكري وتعزيز الإهتمام بالمدينة ومجتمعها على نطاق واسع ليصبح عنوانا ومركزا للأبحاث الأكاديمية التي تركز على فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص.

تعلم اللغة العربية في القدس

تم تأسيس برنامج "تعلم اللغة العربية" عام 2000 كجزء من برامج مركز دراسات القدس ضمن الجهود للتعريف باللغة والثقافة العربية ونقلها الى غير الناطقين بها. ويعمل ضمن هذا البرنامج بالإضافة للمدير منسقة وعشرة معلمين ومعلمات للغة العربية. يوفر البرنامج دروسا بالفصحى والعامية وعلى جميع المستويات، في القدس ورام الله ويتضمن البرنامج دورات صباحية ومساءلية بالإضافة الى دروس خصوصية على مدار السنة. دروس المحادثة (العامية) تمكن الطلاب من التفاعل مع الفلسطينيين في الأسواق وغيرها من الأماكن العامة. ومن خلال



دروس الفصحى يتعلم الطالب الأبجدية والكتابة والقراءة التي تمكنه من استعمال اللغة في أي نشاط أكاديمي لاحقا. من خلال تعلم اللغة العربية يتعرف الطالب ايضا على الجانب الثقافي لفلسطين والعالم العربي بشكل عام.

جولات القدس - القدس من منظور فلسطيني



يتضمن البرنامج جولات ميدانية بهدف التعرف على معالم القدس التاريخية والسياسية والحضرية، بالإضافة لجولات الى مدن أخرى كحيفا وعكا ونابلس والخليل وغيرها، لرؤية جمال فلسطين وطبيعتها الخلابة وثقافتها.

جولات دينية	جولات متاحف	جولات خارج القدس
• الحرم الشريف • كنيسة القيامة • طريق الآلام • الزوايا الصوفية • كنائس جبل الزيتون	• متحف الأسرة المقدسية ومسجد سويقة علون • متحف قلعة القدس • المتحف الوطني الفلسطيني • مركز المخطوطات الإسلامية والمتحف الإسلامي في المسجد الأقصى	• برطعة والخط الأخضر • أريحا، مدينة القمر • يافا، عروس البحر • حيفا وعكا • الكنائس والمزارات في جبال بيت لحم • مملكة الأدوميين والكهوف السكنية في جبال الخليل • جولة سبسطية ونابلس • جولة الى الجولان السوري المحتل
جولات أثرية وسياسية	جولات احياء وجاليات	
• سلوان • لفتا • حي ومقبرة مامن الله • اتفاق الحائط الغربي • القصور الأموية جنوب حائط المسجد الأقصى • الإستعمار في البلدة القديمة • القدس البيزنطية • القدس الصليبية • القدس الأموية • القدس العثمانية • أسوار البلدة القديمة • القلعة	• الجالية الإفريقية الفلسطينية في البلدة القديمة • الحي الأرمني • جالية السريان والأقباط في البلدة القديمة • جاليات البلدة القديمة • روسيا في القدس • النمسا في القدس • جولة القدس من الشرق الى الغرب • النبي صموئيل • المنزل الأمريكي في خطى سبافورد • الأحياء والمدارس الإسلامية في القرون الوسطى	



جولات المدارس- ”يا مكان يا قدس“

هذا البرنامج هو عبارة عن جولات ميدانية لطلبة المدارس، يهدف إلى تعريف الطلاب على بعض المعالم الدينية والتاريخية والأثرية والثقافية في القدس، وإطلاعهم على تركيبة مدينة القدس من الناحية الاجتماعية، للتأكيد على هوية القدس العربية وتعزيز الانتماء لدى الطلبة للمدينة المقدسة. يتمكن الطلاب من خلال مشاركتهم في هذا البرنامج من التعرف على تاريخ القدس والحضارات التي مرت وتعاقبت عليها بطريقة عملية وعلمية غير تقليدية تتسم بالتشويق والمشاركة الفعالة.

”يا ما كان يا قدس“، والممول من مؤسسة التعاون، هو تجربة فريدة وخصوصا بالنسبة لطلاب الضفة الغربية حيث تتوفر لهم الفرصة من خلال هذا البرنامج لزيارة القدس قبل بلوغهم سن السادسة عشرة، حيث يتم منعه من قبل الإحتلال بعد ذلك من دخول المدينة، إلا بصعوبة كبيرة وبعد التقدم بطلبات إستصدار تصاريح خاصة.

مسار الجولة

- باب العامود
- جامع عمر
- سوق خان الزيت
- أسواق البلدة القديمة
- طريق الآلام
- مطلة البراق
- درج الأقباط ودير الأقباط ودير الحبشة
- خان تنكز وحمam العين / مركز دراسات القدس
- كنيسة القيامة
- الحرم الشريف

وقد إستقبل مركز دراسات القدس من خلال هذا المشروع 4000 طالب وطالبة تقريباً من المحافظات والقرى الفلسطينية التالية: جنين ونابلس وسلفيت وطولكرم وقلقيلية وبرطعة وبيت لحم وقباطية وأريحا وطوباس والقدس وطولكرم والخليل وأجنادين وبيت حنينا ويطا وبيرنبالا والعيزريه واللد وكفرصور. وبتمويل من مشروع برنامج الأمم المتحدة للتنمية فقد تم أيضا إستقبال 800 طالب تقريباً من محافظة الرام والقدس وسلفيت ونابلس.

بركة حمام البطرك/ البلدة القديمة - القدس

دراسة أثرية

هاني نور الدين وغسان نجاجرة

إن الحاجة للماء هو عامل أساسي في إنتقاء الإنسان المكان المناسب لنشاطاته وإستيطانه وتعد من أهم العناصر الإستراتيجية لإستمراريته إلى جانب البعد الجغرافي والطبوغرافي للموقع. إنعكس كل ذلك على جميع التجمعات السكانية والتي بدأت كنواة صغيرة وتطورت من قرى إلى مدن. وكان هذا حال القدس أيضاً، فمنذ بداية الألف الثالث ق.م. تواجبت كقرية على منحدرات التلة الشرقية لجبل الزهور (تلة سلوان)، حول عين مياه "أم الدرج" أو "عين سلوان"¹. وتطورت بعد ذلك عبر التاريخ إلى مدينة تحتوي على تجمع سكاني إحتاج إلى مصادر مياه ومنشآت تحفظ هذه المياه عبر مواسم السنة المختلفة وخاصة مواسم الجفاف. فقام السكان ببناء منشآت مائية كالبرك المحفورة في الصخر والمبنية من الحجارة الضخمة²، ومنها بركة البطرك والتي تتواجد في حارة النصارى ومن أهم المعالم فيها.

بركة حمام البطرك

تقع البركة في جنوب شرق كنيسة القيامة وإلى الغرب من طريق حارة النصارى في البلدة القديمة للقدس. تحدها الدكاكين من الناحية الشرقية ويحدها من الناحية الشمالية خان الأقباط وأبنية تعود لمليتها لطوائف مسيحية مختلفة بالإضافة إلى بيوت ودكاكين تحيطها من الناحية الجنوبية³.



الواجهة الشمالية لبركة حمام البطرك، منظر مأخوذ من الشرق

وقد رت مساحة البركة من قبل روبنسون بحوالي 73م طول (شمال-جنوب) بمحاذاة الجانب الشرقي للبركة، و 43.9م (شرق- غرب) حددت من نهاية الحد الشمالي للبركة⁴. الأبعاد أيضاً موثقة عند بيدكر وهي كما وردت عند روبنسون 73.150م طول (شمال-جنوب) و 43.90م عرض (شرق-غرب)⁵. أما تقديرات سميث فكانت مشابهة لما سبقها⁶.

يصعب تحديد العمق الأصلي للبركة بالنسبة لجدرانها، إلا أنها تقدر بحوالي 6-7م⁷. فمن الواضح أن الجدران الأساسية للبركة قد هدمت وتم إعادة بنائها في فترات مختلفة ويمكن القول بأن الإرتفاع الحالي للبركة لا يتجاوز الأربع أمتار، مما يعني بأن الجدران قد استخدمت خلال فترات مختلفة وتم تجديد القصارة على جوانبها وأيضاً تغطية أرضيتها.

تاريخ البركة ومسمياتها:

تم تأريخ البركة إلى فترة ملوك اليهود وبالأخص إلى الملك حزقيا وسميت أيضاً بهذا الاسم⁸. إلا أن هناك تأريخ آخر يُرجع إنشاء البركة إلى القرن الثاني ق.م. وبعضهم يرجعها للقرن الأول ميلادي.



الواجهة الشرقية للبركة، منظر مأخوذ من الغرب

وبعضهم يعيدها للعصر الصليبي⁹. إن التسميات المختلفة التي تطلق على البركة، تعكس الإيهام والإشكالية التاريخية لها. فعندما يطلق على البركة إسم بركة حزقيا فإن تاريخا توراتيا قد أدخل في المسمى بدون أي واقع حداثي وزمني، وهذا ما فعله معظم المستشرقين الذين تعاملوا مع تاريخ البركة¹⁰. فالبعض يشير لها بمسمى بركة البرج، وذلك اعتمادا على معطيات المؤرخ اليهودي جوزيفوس، لأن البركة حسب هذا المؤرخ واقعة بجانب البرج والتي تعود بتاريخها الى القرن الثاني ق.م¹¹. ويُرجعها بعضهم إلى الملك هيرود في نهاية القرن الأول ق.م¹². وسُميت ببركة القبر

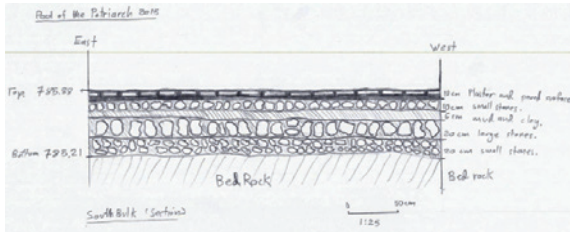
المقدس لأنها قريبة من كنيسة القيامة. أما مسمى بركة حمام البطرك أو بركة البطرك، فهو المسمى المستعمل حتى اليوم من قبل العامة. ويُفترض بأن البركة قد ارتبط إسمها بالحمام والكائن بالقرب منها والتي يُعتقد بأن إنشائها تم حوالي 1137 م خلال العصر الصليبي¹³.

إن النقاش في البعد الزمني لبناء البركة، يثير تساؤلات أيضا حول موقع البركة، وإن كانت موجودة في داخل الأسوار أو خارجها. بالإعتماد على النصوص التوراتية (سفر الملوك 2: 20، 20 وسفر الأعداد 2: 32، 30) والتي تعيد بناء البركة لعهد حزقيا الملك تقريبا في القرن الثامن ق.م. فيمكن الإستنتاج بأن البركة موجودة خارج أسوار المدينة¹⁴. حسب الأدلة الحالية والمعطيات التاريخية وإن كانت قليلة فعلا، فإن الشواهد تشير بأن البركة ترجّح بأنها موجودة داخل الأسوار حيث تم إنشاؤها في تاريخ لا يتجاوز القرن الثاني ق.م¹⁵.

مكونات البركة:

في أعمال آثارية تمت في عام 2015 من قبل الباحثين وبالتعاون مع جامعة القدس ومؤسسة بكدار ومكتب دور الهندسي، من خلال مشروع لتأهيل بركة البطرك من أجل استخدامها من قبل الجامعة لأهداف ثقافية وتربوية لخدمة سكان مدينة القدس والجوار، فقد تم الكشف عن بعض المؤشرات التي تفيد في تاريخ وطرق إستعمال البركة ومنها:

• أرضية البركة:



مقطع عمودي يوضح مكونات الأرضية في جنوب البركة.

بُنيت البركة بكاملها على الصخر الأم، إذ لا يُعتقد بوجود أي بقايا أقدم من الأرضية المكونة من القسارة والتي غطت الصخر الأم في شمال وجنوب البركة. ففي الناحية الشمالية يظهر الصخر الأم بارتفاع لا يحتاج إلى تسويات ترابية أو رصف، فقد غطي الصخر الأم بهذه القسارة. أما في

الناحية الجنوبية، فتبين وجود رصفة حجرية وطنية وذلك بسبب وجود إنحدار طبيعي للصخر الأم من الشمال إلى الجنوب، ويبدو أن هذه الرصفة قد بُنيت بشكل مباشر على الصخر الأم لكي تكون مساوية لمستوى الأرضية الشمالية للبركة ولأسباب تتعلق إما بعدم قدرة الصخر الأم على احتواء المياه وحفظها من التسرب، أو بسبب عوامل صحية دفعت المستفيدين منها إلى قسارتها وجعلها أكثر نظافة.



الواجهة الجنوبية للبركة، منظر من الشمال

أما الرصعة فقد تم إختبارها وهي تحتوي على ثلاث طبقات: في الأسفل طبقة الصخر ومن ثم طبقة من الحجارة الصغيرة وبعد ذلك طبقة أخرى من الحجارة الأكبر حجما، كل ذلك حتى يتم قصارة الأرضية بقصارة مكونة من الحجر الجيري الأبيض المدقوق والمخلوط بكسر فخارية ومواد أخرى عضوية، وتتصف بالسماكة والخشونة، ويعلوها طبقة من البلاط الرقيق غير المنتظم من ناحية الشكل. وتغطي تلك القصارة والبلاط الأجزاء الدنيا من الجدران الرئيسية للبركة مما يساعد على تأريخ تلك الجدران مع أرضية البركة.

• جدران البركة:

من خلال الإعتماد على ما دونه المستشرقون والرحالة للقدس في القرن التاسع عشر فقد تم أخذ بعض المعلومات التي تفيد في التعرف على ظروف الجدران.

لقد بين روبنسون في الثلاثينات من القرن التاسع عشر أنَّ حدود البركة قد امتدت إلى الشمال أكثر من حدودها الحالية وذلك من خلال المعلومات التي أدلى بها مسؤول البنانيين له وذلك قوله: بأن البناء الحالي (خان الأقباط) والمقام في هذه الجهة قد تم تشييده جزئيا على بقايا جدار ضخيم يقع على بعد حوالي ثمانية أمتار من الحد الشمالي للبركة، وهذا يعني أن البركة قد تم تقليصها حوالي (17م تقريبا) في جزئها الشمالي¹⁶.

وذكر شيك أن أعمال ترميم تمت في الجدار الغربي واصفا هذا الحادث بأنه مرتفع وبدون أي نوافذ ويتشكل من ثلاث طوابق من الغرف المبنية فوق بعضها، تعود الى ملكيات مختلفة ومقسمة لثلاث أجزاء (الجزء الجنوبي يتبع ملكيته لدبر اليونان ومدخله من الجنوب، أما الجزء الآخران في القسم الشمالي فتعود ملكيتهما إلى عائلات من الروم الأرثوذكس ومدخلهما من الغرب)¹⁷.

إن أجزاء كبيرة من الجانب الشرقي للبركة قد تهدمت وأعيد بناؤها. ويذكر شيك أن بناء بيت في الجهة الشرقية من البركة من الحجارة الكبيرة قد تم، وقد أخذت حجارتها من الجدار الشرقي¹⁸.

من الملاحظ أن الجانب الجنوبي للبركة، هو الجزء المحافظ عليه، فمن الواضح أن الصخر الأم ينحدر إلى الجنوب وخاصة إلى الجنوب الشرقي، وهذا ما يؤكد المحافظة نسبيا على هذا الجدار على إرتفاع معين أكثر من غيره.

• الحوض أو مجمع المياه الموجود في الزاوية الجنوبية الغربية للبركة:

تتصف تلك المنطقة بشكل مربع، موجودة في الزاوية الجنوبية الغربية أسفل القناة التي كانت تغذي البركة بالمياه، يُظهر من خلال البقايا في تلك المنطقة أن المنشأة قد خدمت أغراضا ليست واضحة بشكل مؤكد، إلا أننا نفترض واحدة من وظيفتين وهما إما أنها كانت حوضا لتنقية المياه من الأتربة والحجارة والعوالق القادمة من النظام المائي، أو أنها كانت بمثابة الحوض التنظيف الذي يفصل المياه النظيفة الجديدة عن المياه الراكدة في أنحاء البركة الأخرى في حالات إنخفاض منسوب المياه فيها. وفي كلتا الحالتين فإن المياه لا تحتاج إلى قناة لنقلها إلى البركة الكبيرة لأن جدارها كان يرتفع حوالي نصف متر، فتفيض المياه إلى باقي البركة من هناك.

• الدرج:

يقع في الجدار الشرقي للبركة باتجاه الجنوب، والذي ربما كان يؤدي وظيفة ثانوية، إذ ربما شكل مدخلا إلى البركة في فترات ما قبل بناء البيوت الحالية. وينحدر الدرج من الجنوب إلى الشمال بارتفاع حوالي 120 سم عن أرضية البركة وهو من معالم البركة البارزة.

الخاتمة:

يمكن القول أن تاريخ إنشاء البركة والتسوية أو الرصفة والقسارة التي غطت الأرضية والجدران الرئيسية تعود إلى فترات مختلفة تبدأ من الفترة الرومانية لإرتباط اسم بركة البطرك ببركة ماميلأ والتي يعود تاريخها إلى الفترة الرومانية. ففي ذلك ربما تكون بركة البطرك قد كانت مقلدا للحجر في أوائل الفترة الرومانية ومن ثم أصبحت مكانا لتجميع المياه وإستقبالها من بركة ماميلأ¹⁹. إذا تم الإعتماد على كتابات جوزيفوس فلافيوس كتاريخ موضوعي²⁰ فإن زمن بناء البركة وأيضا مسمائها (بركة البرج) ومكان وجودها بالقرب من القلعة الواقعة بجانب باب الخليل يكون ممكنا وذلك لأنها تكون قد عاصرت زمن الكاتب.

هناك دلائل منذ العصر البيزنطي، مروراً بالعصر الأموي، تشير إلى ذكر البركة بأسمائها فقط²¹. أما خلال العصر الصليبي (1099-1187م) ومروراً بالعصر الأيوبي ثم المملوكي والعثماني (1187-1918)، فقد تعددت المصادر حول البركة وتم ذكرها بالإسم اللاتيني "Lacus Balneorum" والتي أعتبرت كمصدر مياه الحمام والذي يدرج في أملاك رهبان القديس حنا ما بين السنوات 1137 و 1167م²². إن البركة ومنذ العصر الصليبي، أصبح متعارفا عليها بما يسمى بركة حمام البطرك. وإستمرت في تزويدها للحمام حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

لقد ذكر روبنسون الذي زار القدس في عام 1838م أن أرضية البركة كانت مغطاة بالقسارة²³، مما يعني أن البركة قد إستمر إستخدامها خلال الفترة العثمانية ومنذ فترات سابقة وبديل أن روبنسون أثناء زيارة للبركة قد وضع إستمرارية إستخدامها. أما أدريان بوعز فقد ذكر أن جدران البركة ربما بنيت في الفترة الصليبية، أما الأرضية فهي أقدم من ذلك²⁴. لقد تم العثور خلال الأعمال الأثرية في العام 2015 على بعض القطع الفخارية والتي تؤرخ إلى الفترة البيزنطية ربما المتأخرة، ولهذا من الممكن القول أن البركة قد تم تسويتها وقصارتها وأصبحت بهذا الشكل منذ الفترة البيزنطية.

د. هاني نور الدين هو محاضر في المعهد العالي للآثار، ومدير وحدة دراسات آثار القدس/ جامعة القدس

السيد غسان نجارة هو باحث ميداني في علم الآثار

- Baedeker, K. 1906. *Palestine and Syria. with the Chief Routes through Mesopotamia and Babylonia, Handbook for Travellers.* London, Liepzig. KarlBaedeker.
- Ben-Arieh, Y. 1984. *Jerusalem in the 19th Century, the Old City.* New York: St. Martin.
- Boas, A.J. 2001. *Jerusalem in the Time of the Crusades 2001.* London and New York: Routledge.
- Bahat, D. 2011. *The Carta Jerusalem Atlas.* Third Updated and Expanded Edition. Jerusalem: Carta.
- Geva, H. 1993(1), Jerusalem, the Second Temple Period pp.717-749, *In The New Encyclopedia of Excavations in the Holy Land.* (ed.) Ephraim Stern. Jerusalem: Carta.
- 1993 (2). Jerusalem, The Roman Period Pp. 758-767, *In The New Encyclopedia of Excavations in the Holy Land.* (ed.) Ephraim Stern. Jerusalem: Carta.
2000. Twenty-Five Years of Excavations in Jerusalem 1968-1993. Achievements and Excavation, *In Ancient Jerusalem Revealed.* (ed.) H. Geva. Jerusalem: Israel Exploration Society.
- Harrington, J.B. 2009. Pool of the Bath of the Patriarch, *In Al-Quds/ Jerusalem 2015 Program 2008 Report. Istanbul. IRCICA.*
- Lemire, V. 2010. *La Soif de Jérusalem. Essai d'hydrohistoire (1840-1948).* Paris : Publications de la Sorbonne.
- Murphy, J. 2008. *The Holy Land. An Oxford archaeological Guide from Earliest Times to 1700.* Oxford: Oxford University.
- Reich, R. 2011. *Excavating the City of David. Where Jerusalem's History Began.* Jerusalem: Israel Exploration Society.
- Robinson, E., Smith, E. 1838. *Biblical researches in Palestine, and in the Adjacent Regions. vol.1.* London: John Murray.
- Schick, C. 1897. *Reports and Papers by Dr. Conard Schick. London. Palestine Exploration Fund.* 107-109.
- Schick, C. 1891. *Herr Schick Reports. Palestine Exploration Fund.* 276-281.
- Smith, G.A. 1907. *Jerusalem the Topography, Economic and History from the earliest times to A.D. 70.* London: Hodder and Stoughton.
- Wilson, J. 1847. *Lands of the Bible.* London: Longman.
- Wilson, R.E., Warren. R.E. 1871. *Recovery of Jerusalem.* London: Richard Bentley.

1. ان التجمع الأساسي للمياه متوفر في أسفل المنحدر الشرقي لجبل الزيتون، وهذا مؤشر على وجود أول معطيات نواة تجمع سكاني وبقياء بيوت قائمة بجانب عين الماء الرئيسية. انظر: Shilo 2000, pp. 46-54, Geva, 1993, pp. 746-747, 766, Geva 2000, pp.43-45.
2. لمزيد حول النظم المائية خلال العصر البرونزي المتوسط انظر Reich 2011, pp.148-158, 163-170
3. من أجل التعرف على مكان وموقع البركة انظر Thomson 1860, p. 654; Smith 1907, p.114; Ben- Arieh 1984, p.70
4. Robinson 1838, p. 329
5. Baedeker 1906, p.43
6. Smith 1907, p.114
7. Thomson 1880, p.584
8. Thomson 1880, p. 546; Schick 1891, p. 277; Le mire 2010, p.50; J. B. Harrington, p.108
9. انظر Boas 2001, p.246
10. انظر Wilson 1874, p.437.
11. Geva 1993(1), p.747
12. Murphy 2008, p.65-66
13. Boas 2001, p.246
14. Harrington 2009, p.108
15. Harrington 2009, pp.108-109
16. Robinson 1838, pp.329-330
17. Schick 1897, p.107
18. Schick 1891, p. 277
19. Harrington 2009, pp. 109-112
20. Wilson and Warren 1860, pp.22-23
21. Harrington 2009, p.110
22. Harrington 2009, p. 110
23. Robinson, E., Smith, E. 1838, p. 329
24. Boas, A. J. 2001, p. 246

سجون القدس في القرن السادس عشر

خضر سلامة

مقدمة

إن مؤسسة السجن في التاريخ الإنساني قديمة قدم البشرية، وأقدم ما ورد ذكر لها كان في البرديات الإغريقية-القبطية والبيزنطية¹. وإذا تقدمنا في السنوات إلى الفترة الإسلامية الأولى، نجد أن ذكر السجن ورد في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم. ففي سورة يوسف، ورد ذكر السجن تسع مرات بإشتقاقات أو صيغ مختلفة، (أنظر كمنال، آية رقم: 25، 33، 42، 100؛ وسورة الشعراء، آية 29)، وكذلك فإننا نجد ذكرا للسجون في شعر العصر الجاهلي². وكلمة "الحبس" المرادفة لكلمة "السجن"، كانت معروفة في اللغات السامية القديمة مثل السريانية، وقد استخدمت في القرآن بمعنى "الحجز" (أنظر سورة المائدة رقم 5، آية 106، وسورة هود رقم 11، آية 8)، حيث ترد كلمة "السجن" على الأغلب مرتبطة بالسلاسل.

ارتبط وجود السجن بالمدينة، وليس بالبادية، وتوجد إشارات محدودة أن الرسول محمد عليه السلام قد استخدم السجن، ولكن من الثابت أن أول من استحدث السجن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وذلك ناتج من إزدياد الداخلين في الإسلام، فاشترى بيتا في مكة وحوله الى سجن³. وتوجد إشارات إلى أن أول من سجنه عمر بن الخطاب، هو معن بن زائدة. فقد اتهم بتزوير ختم الخلافة واختلاس أموال الخراج في الكوفة، واعتقله عمر وسجنه في كوخ من قصب، مما مكنه من الخروج منه والذهاب إلى عمر الذي قام بجلده وأمر بتخليده في السجن⁴، وهذا الأمر شكل السابقة القانونية، والتي تم القياس عليها من أجل استحداث السجون في الفترات الإسلامية اللاحقة.

العقوبات في الاسلام

العقوبات نوعان، نوع ورد فيه نص في القرآن وحددت فيه العقوبة، مثل عقوبات القتل والسرقة وقطع الطريق، والنوع الثاني عقوبات للردع ولم يرد فيها نص لا في القرآن ولا في الحديث، وتعرف بالعقوبات التعزيرية⁵، أي التأديبية أو الزجرية، وترك تقدير حجم هذه العقوبة لولي الأمر أو القاضي، وتدخل هذه المخالفات تحت باب الجنبنة، ولها حد أدنى وحد أعلى، والهدف من التعزير حماية المجتمع.

استخدم مصطلح "التعزير" كثيرا في الوثائق، وقد تحول إلى مصطلح يشير إلى سلطة القاضي وبصورة أقل إلى محتسب المدينة، وحسب الوثائق العثمانية فإن باب التعزير واسع جدا، ويبدأ من أبسطها وهو الكلام القاسي، ووصولاً إلى الجلد والسجن، وقد يكون بعرك الأذن أو الصفع أو الكلام العنيف. ويختلف تطبيق عقوبة التعزير بين شخص وآخر، وذلك حسب الموقع الإجتماعي للفرد، فكان الجلد والتشهير شائعا بالنسبة للطبقات الدنيا في حين كان السجن هو الشائع لأفراد الطبقة الوسطى⁶. وقد تم تحديد عقوبة التعزير في إحدى وثائق السجل⁷ وذكرت أنه لا حد فيه، وهو أنواع ولا يختص بالضرب، ولا يوجد في التعزير شيء مقدر.

كان القاضي في الفترة العثمانية يأمر بإرسال السجين إلى السجن بعد محاكمته أو عرضه على القضاء. ففي العادة يلجأ الدائن -على سبيل المثال- إلى القضاء، إذا ما عجز المدين عن السداد لسبب من الأسباب، وبعد مكوثه في السجن المدة العرفية، وثبوت عجزه عن سداد الدين بشهادة الشهود (إعلان إفلاسه)، يتم إطلاق سراحه من القاضي، وهذا العمل له مرجعية تاريخية، وترجع إلى رفض أبو هريرة سجن مدين فقير رغم إلحاح الدائن، وقال أنه إذا بقي حرا فهو يعمل ويعيل عائلته، ويقسط الدين للدائن⁸، وقد كان يتم هذا الأمر في سجون القدس⁹، واختلف الفقهاء في تحديد الفترة العرفية¹⁰، فلدى أبو حنيفة فهي ما بين 4-6 شهور، ولكن للقاضي أن يقرر طول المدة أو قصرها، بربط ذلك بحسن سمعة الرجل المدين أو سونها¹¹.

الوضع في سجون القدس

يختلف الوضع في السجن بين المساحين الأثرياء والفقراء، كما في الحرية، فالأثرياء كان بإمكانهم التمتع

بالراحة وطلب الخدمات، ولكن الفقراء كان عليهم الإعتماد على الصدقات سواء من الأوقاف أو الدولة، وعلى الأغلب أن الصرف على السجناء كان من التزامات الدولة، والذي يتمثل في الأكل والكساء والعناية الصحية¹². توجد وثائق تفيدنا بأن المساجين كانوا يقيدون بالسلاسل في الليل، إضافة إلى وضع الخطرين منهم في مناطق كان يطلق عليها الغور أو المطامير (وهي حفرة تحت الأرض تخزن فيها الحبوب، واستخدم المصطلح لوضع المساجين فيه من بدايات الفترة الإسلامية)، فقد أمر الخليفة العباسي المكتفي (295-264/877-907) بهدم المطامير التي عملها والده الخليفة المعتضد (242-289/856-901)¹³ بعد توليه الخلافة إثر وفاة والده¹⁴، كما يلاحظ أن بعض المساجين كان يسمح لهم بالخروج إلى صلاة الجماعة، وقد ورد ذلك مرة واحدة، وربما كان ذلك إستثناء في صلاة يوم الجمعة في شهر رمضان، وعلى الأغلب أن ذلك كان يتم في مسجد القلعة¹⁵، كما وردت وثيقة تشير إلى السماح لسجين بالخروج للوضوء ولصلاة الصبح، ولكنه هرب¹⁶، وتشير كثير من الحجج إلى أن الفرار من السجون كان أمراً شائعاً¹⁷، وتجدر الإشارة أن الرجال والنساء كانوا يسجنون في سجن واحد، ولكن كان لكل جنس مكاناً منفصلاً عن الآخر.

سجن القلعة:



القلعة التي كانت تحتوي على السجن.

كان في مدينة القدس أكثر من سجن، وكانت تلك السجون من أملاك الدولة، وبالتالي يتم الصرف عليها من الوالي، وكان يعرف السجن بأكثر من اسم، والسجن الوحيد الذي عرف باسم واحد هو سجن القلعة. وهو السجن الموجود في قلعة باب الخليل، وكان يعرف بسجن القلعة أو حبس القلعة، وكان يسجن فيه الرهائن، فقد كان البدو يهاجمون الحجاج القادمين لزيارة القدس والخليل، ولمنع هذه الحوادث قام السلطان بمعاقيبتهم عن طريق أخذ رهائن من عائلات مشايخ

البدو، وسجنهم في سجن القلعة، إضافة إلى سجن الضامنين لأهل القرية أو الحي لدفع الضرائب، وهم في العادة من مختار القرى الموقوفة والوجهاء، فإذا تأخرت القرية في تسديد المطلوب منها، سواء كان للدولة أو الوقف أو الملتزم، فإن مشايخ القرية يوضعون رهائن إلى حين تسديد ما على القرية، كما وجد رهائن للمحافظة على سلامة الطرق من قطاع الطرق.

كان من العادة أن يتم إستبدال الرهائن في السجون بأخرين مساوين لهم في المكانة والموقع الإجتماعي، وذلك إذا ما ثبت وجود خطر على حياتهم نتيجة مرض أو غير ذلك، وقد صدر فرمان بذلك، وقد تقدم أهالي الرهائن يطلب الموافقة على تغيير الرهائن كل ستة أشهر¹⁸.

فقد كشف عن سجين مريض بالقلعة، وقرر القاضي بناء على نصيحة الطبيب إطلاق سراحه، ووضع أخيه مكانه رهينة 1576/984¹⁹، وكان من الضروري وجود حكم لإستبدال السجين، فقد ورد حكم شريف لدى القاضي، يقول بأن محابيس قلعة القدس رهينة على عمارة البلاد وأداء الحقوق²⁰، وأن بعضهم حصل له ضعف وبعضهم توفي من طيلة مكوثهم في السجن لمدة أكثر من سنة، وطلب إستبدالهم بأقارب لهم يعادلونهم في المكانة والمقام، ونص الأمر الشريف بتاريخ 1576/984 على أن لا يمكث الرهائن على عمارة البلاد وأداء الحقوق أكثر من سنة²¹.

سجن البيمارستان (سجن الشرع):

من ناحية تاريخية يبدو أن هذا السجن قديم، وهو مستمر منذ الفترة الأيوبية، وقد أشار إليه مجير الدين في الفترة المملوكية عند حديثه عن أوقاف الملك الأفضل الأيوبي، وقال «ومن جملة أوقافه المسجد الكائن عند القيامة علو سجن الشرطة»، وأيضاً «منارة المسجد الكائن علو سجن الشرطة تجاه القيامة من جهة القبلة»²².

عرف هذا السجن بهذا الإسم لأنه من الأبنية الموقوفة على البيمارستان أي «المستشفى»، ويبدو أنه كان داخل المستشفى نفسه، ويشير إلى ذلك من مضمون حجة شكوى على الدباغين الذين يستخدمون بئر الماء المخصص للمرضى والمساجين لغسل الجلود، فمنعهم القاضي من ذلك، وأمر بوضع خرزة على البئر²³، وعرف هذا السجن باسم «سجن الشرع» وكان يسجن فيه الرجال والنساء المدينون من أصحاب الديانات الثلاث، ويمكن تحديد موقع هذا السجن، مقابل مدخل كنيسة القيامة، بجانب المسجد العمري من الشرق.

وقد وجد في سجن الشرع سجينين، واحد للرجال وآخر للنساء²⁴، ونتيجة ذلك ظهرت إشكاليات، فقد تمت الشكوى على السجان، بأنه يختلي في كل ليلة مع امرأة سجنية في سجن الشرع، وذهبت لجنة من المحكمة للكشف على السجن الكائن بالورستان، ووجد السجان مختلي مع الحُرمة في حجرتها، ومعها امرأة أخرى مسجونة بحق شرعي وتقرر التعزير عليه 1566/974²⁵.

وكانت أحيانا ترفع شكوى ضد السجانين، فقد حضر للقاضي رجل من المحابيس، وأبرز كتاب يشكو المساجين فيه السجان عبد القادر بن العجمية، بأنه يأخذ منهم دراهم، وأنه فرق بين من يدفع ومن لم يدفع بالبيت والمعاملة، وأحضر القاضي المساجين وشهدوا بما ذكر أعلاه ووجب التأديب على السجان 1545/952²⁶. ونشير إلى حادثة ترجع إلى سنة 1545/952، جرت في هذا السجن، فقد حضر للقاضي شخص سجين، وكانت زوجته قد اشتكت عليه لعدم دفعه مهرها المقدم، وكان مسجوناً على ذلك، وإشتكى أنه في حالة صعوبة وأنه بحاجة لجماع زوجته، وإستأذن القاضي في إحضار زوجته إلى السجن وتمكينه منها، وأن تبث عنده في السجن في موضع خال من الرجال، وراجع القاضي المفتي والعلماء وأفتوا بجواز ذلك، وأمر القاضي السجان بتوفير غرفة منفصلة له ولزوجته²⁷.

سجن النيابة

ورد ذكر لهذا السجن في عدة وثائق، ولم أستطع تحديد مكانه، ويبدو أنه كان يطلق عليه أيضا سجن الصوباشي، وهو قائد شرطة المدينة والممثل للوالي، وأشارت حجة إلى هروب مساجين من هذا السجن، وبعد التحقيق تبين أن السجان قصر في عمله، فلم يضع المساجين في الغور (الحفرة أو الطابق الأرضي)، ولكنه ثبتهم في الساحة السماوية²⁸، كما نجد حجة تشير إلى ذلك بشكل واضح "تأخير سجن الصوباشي"²⁹، ورفعت دعوى من الصوباشي على شخص إسمه بالي الأرمني، لأنه وضع سلم على حائط سجن النيابة، ونظر إلى السجن وأنكر ذلك، وذكر أنه نصب السلم على حائط البطرک، وأطل على الكنيسة التي تحت دار البطرک³⁰.

سجن الأشراف

وردت وثيقة واحدة تشير إلى سجن الأشراف بشكل هامشي، فقد رفعت شكوى للقاضي من نقيب الأشراف، تحتج على أن الأشراف يسجنون ويحاكمون في القلعة مع الناس العاديين، ويوجد فرمان ينص على أن يتم سجن الشريف عند الضابط (النقيب) المسؤول عنهم، وليس في السجن العادي³¹.

سجن السياسة

ورد مرة واحدة ذكر سجن السياسة، وذلك بمناسبة إطلاق سراح سبعة مساجين من سجن القدس، المعروف بحبس السياسة، كما أطلق سراح ثلاثة من سجن القلعة³²، ولم أستطع تحديد هل هو سجن خاص بالسياسة، أم هو مسمى لأحد السجون السابقة. وقد تم الكشف من القاضي على الحبس إتجاه القيامة والمعروف بحبس حكام السياسة، واستجوب المساجين حول سبب سجنهم، وأطلق سراح ثلاثة من المحابيس³³.

الخاتمة

من الصعوبة معرفة حقيقة ما كان يجري في سجون القدس في القرن السادس عشر، لأن المادة التي بين أيدينا بخصوص هذا الموضوع مختصرة، وليس سهلاً عرضها بشكل متأسك، وبالتالي فلا بد من استخدام التخيل لإيضاح الصورة، فالوثائق هي شيء جامد وتشير إلى حادثة معينة، ووصلت إلى المحكمة لأن من وظيفة القاضي أن يقرر في الحادثة المعروضة أمامه، وبالتالي فنحن نفتقد الأساس الذي قامت عليه القضية نفسها، كما نجد صعوبة في التفريق ما بين السجن المدني والسجن السياسي، فالعوامل عن نوع السجن الثاني هي بحكم الندرة،

ولا نجد سوى سطر أو أكثر مبعثرة هنا وهناك.

كما لم يرد ما يشير إلى درجات عقوبة التعزير التي كانت تتم، إضافة إلى أننا لا نجد معلومات مفصلة عن أساليب التعذيب التي كانت تتم في السجون، وإن وجدت إشارات جانبية تشير إلى ربط المساجين وخاصة في سجن القلعة بالسلاسل أثناء الليل.

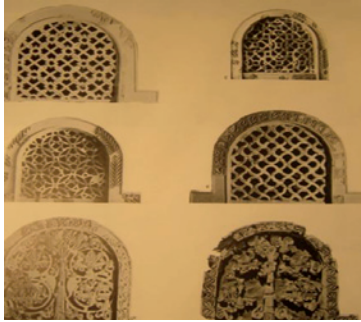
السيد خضر سلامة عمل كمسؤول عن المتحف الإسلامي ومكتبة المسجد الأقصى في الحرم عدة عقود، وعمل ولا يزال يعمل في مكتبة الجامعة العبرية وحاليا يعمل أيضا في مكتبة العائلة الخالدية، أنهى اللقب الثاني في المكتبات ثم في التاريخ العثماني والثالث عن المحكمة الشرعية في القدس القرن السادس عشر (فترة السلطان سليمان القانوني).

الحواشي:

1. فرانز روزنتال، مفهوم الحرية في الإسلام، ترجمة معن زيادة ورضوان السيد، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007، ص: 67.
2. أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1928، ج2، ص: 109-118، ويشير إلى حبس عدي بن زيد من قبل النعمان بن المنذر. وتقريبا ورد ذكر السجون في كثير من كتب التراث الإسلامي، وعلى سبيل المثال اشير إلى بعضها، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج1، ص: 83، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992، ج7، ص: 337، ج11، ص: 164، 223، حيث يشير أحيانا إلى سجن وأحيانا أخرى إلى حبس، المقرئزي، الواعظ والإعتبار، يذكر الخطوط والأثار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، 424، 463، ج2، ص: 213، حيث يشير إلى وجود سجون مختلفة في القاهرة، مثل حبس الخزانة، حبس المعونة، حبس القلعة، ونجد فصلا يتعلق بحياة السجن في كتاب، عيسى بن البحرري، أنس للسجون وراحة المحزون، تحقيق محمد ادب الجادر، بيروت، دار صادر، 1997، الفصل الرابع، ص: 169-126، وعن السجون والعقوبات بشكل عام انظر، Irene Schneider، "Sidjn"، El², vol. IX، pp. 547-548.
3. ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، بيروت، دار احياء العلوم، [د. ت. ن. أ. ص: 115.
4. البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الصايغ، بيروت، مؤسسة المعارف، 1987، ص: 649-647.
5. عن التعزير في الفترات الإسلامية انظر على سبيل المثال، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص: 234، محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، [د. ت. ن. أ. ص: 112-1-3، وعن التعزير في الفترة العثمانية انظر، W. Heffening، "Ta'zir"، El², vol. X، p.406، Uriel Heyd، studies In old Ottoman Law، pp. 271-273.
6. فرانز روزنتال، مفهوم الحرية، ص: 78.
7. سجل المحكمة الشرعية في القدس، رقم 232، ص: 119. سيشار إليه لاحقا، سجل المحكمة.
8. وكعب، اخبار القضاة، بيروت، عالم الكتب، [د. ت. ن. أ. ج1، ص: 112.
9. سجل المحكمة، رقم 20، ص: 155.
10. الفترة العرفية وتعني الفترة التي يقضيها السجين في السجن، قبل ان يطلق سراحه نتيجة إفلاسه او مرضه، وقد اختلف الفقهاء في تقدير فترة المدة العرفية التي يقضيها السجين او السجينة في السجن، وإقلام قدرها بمدة شهر، واكثر مدة قدرة بستة اشهر.
11. فرانز روزنتال، مفهوم الحرية في الإسلام، ص: 88.
12. تذكر الروايات ان القاضي شريح عندما امر بسجن ابنه لكفالاته مدينا مقصرا في اداء دينه، طلب من خدمه ان يحملوا اليه اغطية ووسادات الى السجن، ولا يوجد ما يمنع من ان هذا الأمر استمر حتى في الفترة العثمانية، انظر، فرانز روزنتال، مفهوم الحرية في الإسلام، ص: 100.
13. عن الخليفتين انظر، السوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، 1952، ص: 368، 376.
14. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، 1965، ج7، ص: 516.
15. سجل المحكمة رقم 46، ص: 46.
16. سجل المحكمة رقم 21، ص: 75.
17. انظر امثلة في وثائق مختلفة حول فرار السجناء، سجل المحكمة رقم 2، ص: 162، سجل 35، ص: 22، سجل 40، ص: 337.
18. Uriel Heyd، Ottoman Documents on Palestine 1552-1615، Oxford: at the Clarendon Press، 196-، pp. 97-98.
19. سجل المحكمة، رقم 57، ص: 44.
20. المقصود بعمارة البلاد، ان الدولة كانت تامر باخذ ابناء مشايخ البدو كرهائن، ويوضعون في السجن حتى تضمن الدولة عدم اعتدائهم على المسافرين والحجاج ونهب ما يحملون، وبالتالي يؤدي ذلك الى خراب البلاد، وهذا ما يعرف "بعمارة البلاد"، فقد كان شخص اسمه داود بن ابي ريان رهينة في السجن، ومرض وخشي عليه من الهلاك فتم استبداله باخيه حمزة (سجل المحكمة رقم 57، ص: 44)، اما اداء الحقوق فالمقصود به ان السلطات العثمانية كانت تقوم بضمان حقوق الدولة والوقوف والتبتمارية من خلال تحميل مسؤولية جمع هذه الحقوق من اهالي قرية ما من قبل عدة اشخاص متتفدين فيها "الضامين"، فاذا تاخر سكان القرية في سداد تلك الحقوق، فانه يتم اعتقال الضامين ووضعهم في السجن الى حين سداد تلك الحقوق، فقد كان شيخ قرية كوبر مسجوناً على ثلاثة قناطير زيت تخص تيمار والي القدس، (سجل المحكمة رقم 43، ص: 200).
21. المرجع السابق، ص: 175.
22. مجبر الدين الحنبلي، الأنس الجليل في القدس والخليل، ج2، ص: 46، 49.
23. محمود عطا الله، وثائق الطوائف الحرفية في القدس في القرن 17، نابلس، جامعة النجاح، 1991، ج1، ص: 146.
24. سجل المحكمة، رقم 55، ص: 435.
25. سجل المحكمة، رقم 49، ص: 391.
26. سجل المحكمة، رقم 17، ص: 316.
27. المرجع السابق، ص: 94.
28. سجل المحكمة رقم 2، ص: 163.
29. سجل المحكمة رقم 10، ص: 553.
30. سجل المحكمة رقم 232، ص: 304.
31. المرجع السابق، ص: 25.
32. سجل الأغلفة، ص: 75.
33. سجل المحكمة رقم 46، ص: 262.

لحة عن الزخارف الجصية في العمارة الإسلامية وعن صناعة الشبائيك الجصية في عمارة المسجد الأقصى المبارك

يوسف سعيد النتشة



لوحة 1: زخارف حvisية من قصر الحير الغربي من الفترة الاموية (نقلا عن موقع اكتشف سورية)

جص أو جبس¹ وبعمامة القدس وفلسطين تعرف اليوم المادة بإسم جبصين، هي مادة قديمة استخدمت لملاط (قسارة) الجدران والواجهات لقسوته ولنعومة سطحه². وبداية استخدام المادة غير معروف، لكن المعروف أنه طُوِّرَ من قبل الرومان القدماء لزخرفة الأسقف، ولاحقا طوره معماريو العمارة الإسلامية للزخرفة الداخلية والخارجية على السواء، فصنعت منه القباب المقرنصة³، وتشكيلات كبيرة فنية جدارية⁴، ونماذج لأجسام حيوانية أو نباتية عبر صبيها في قوالب خاصة، وتستخدم المادة أيضا كزخارف بديعة للشبائيك والنوافذ، وهذا الإستعمال هو موضوع هذه الورقة.

والجبس (بكسر الجيم وسكون الباء) لغة تجمع على أجباس، وتعنى الجامد من كل شيء⁵. ولفظة الجص أو الجبص فارسية الأصل لكنها عربت، ويقال لصانع أو مشكل الجص جصاص، ولكن صنع الجص جصاص، أو جباسة وتجمع على جباسات⁶. ولقد وردت لفظة جص وجبس في أغلب قواميس اللغة العربية القديمة والحديثة ومعاجم العمارة والفنون⁷، ويقابلها بالإنكليزية (Gypsum, Plaster, Stucco⁸).



لوحة 2: زخارف حvisية في قصر الحمراء في غرناطة

وأصل الجص من الحجر الجيري الذي يكسر ويسحق ويطحن ليصبح مادة ناعمة تخلط لاحقا بالماء⁹ وتشكل حسب الحاجة، وكان يضاف إليها مواد أخرى من الصمغ ومسحوق الرخام وقشر البيض¹⁰ ومواد أخرى كالرمل، لكن اليوم تصنع المادة تجاريا عبر تصنيع بتروكيماوي معقد.

وكان الجبص في العمارة الإسلامية على أنواع منه العادي وهو نوع خشن غير نقي في الأغلب، ومنه الجبس الزجاجي، وهو مركب كما يفهم من الإسم من جبس وزجاج، وهذا النوع الأخير ممتاز الصفات حيث يصعب تفتيته إذا ما تجمد وتشكل. وهناك نوع آخر من الجبس عرف بإسم البياض وهو ملاط أبيض ناعم استخدم لتكسية الجدران لتسويتها وتقويتها ولنقش الزخارف عليها. وهذه الأنواع الثلاثة ورد ذكر لها في وثائق العصر المملوكي¹¹.

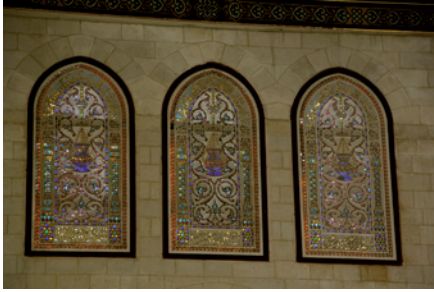
ولقد أبدع فنانون العمارة الإسلامية في استخدام مادة الجص في عمل التشكيلات المعمارية والزخرفية، وظهر هذا مبكرا في العماائر الإسلامية منذ العهد الأموي، ومنها قصر الحير الغربي¹² (لوحة 1)، وانتقل واستمر ذلك في العهد العباسي



لوحة 3: مقرنصات ركنية وعقد مشكل من زخارف حvisية في قصر الحمراء في غرناطة

وظهر جلياً في مدينة سامراء واشتهر حتى نسب الطراز إلى هذه المدينة¹³، وشاع أيضاً استخدام الزخارف الجصية في جامع ابن طولون في القاهرة. لكن بلغت هذه الصناعة مكانة مرموقة في قصر الحمراء بغرناطة بالأندلس (لوحة 2، 3).

واشتهرت فلسطين بالزخارف الجصية ونالت حظوة كبيرة خاصة في العصر الأموي وما تلاه من عصور، وخير شاهد على ذلك قصر هشام الأموي في أريحا ومبنى قبة الصخرة المشرفة ومبنى الجامع الأقصى وكلاهما في القدس من ضمن عمارة المسجد الأقصى المبارك. بل تميزت مدينة القدس في دقة صناعة الشبائيك الجصية وجمالها المميز. لقد كان لنسق الشبائيك دوراً مهماً في تخطيط المباني الإسلامية، وقد استخدمت للاستفادة من الإضاءة الطبيعية ولإدخال الهواء للمباني، وكانت الشبائيك والنوافذ على عدة أشكال فمنها المستطيلة والمربعة والطويلة والدائرية. وإذا كان مستوى الشباك قريباً من مستوى الطريق أو الشارع فقد غُطّي بمصبغات معدنية جميلة الصناعة والتكوين لتوفير الحماية، وإذا كان مستوى الشباك عالياً ومرتفعاً فقد غُطّي بطبقة من الزخارف الجصية الجميلة التي تطعم بتشكيلات من الزجاج الملون الشفاف. ويبدو أن هذه الصناعة التي كانت في الأصل أموية، استمرت في الفترة المملوكية والفترة العثمانية، فتكسية الشبائيك كانت هامة لعمارة الجامع الأقصى وقبة الصخرة، وكلاهما نال الرعاية والعناية من قبل السلاطين والخلفاء والأمراء منذ تأسيسهما وحتى يومنا هذا.



لوحة 4: زخارف جصية في الجدار الشمالي للجامع الأقصى حيث للدخل باتجاه الجنوب

ومن حسن الطالع أن هذه الصناعة وهذا الفن الجميل الراقي لا زالت تمارس وبيتقان في ورشة إعمار المسجد الأقصى المبارك وبأيدي فنانين مهرة محليين. والواقع أن تكوين هذه الشبائيك في منتهى الجمال والإتقان (لوحة 4، 5)، خاصة إذا ما نظر إليها حينما تخترقها أشعة الشمس، حيث تتلون حزم هذه الأشعة بألوان قطع الزجاج الصغيرة التي تشكل خلفية لهذه الزخارف. وأروع هذه الأمثلة توجد في رقبه قبة الصخرة وفي القسم العلوي من الجدار الجنوبي للمسجد الأقصى، وفي أنحاء مختلفة من أقسام المسجد وفي المتحف الإسلامي، وفي عمارات متناثرة في أماكن أخرى من القدس وفلسطين، لكن الأهم يوجد في المسجد الأقصى المبارك.



لوحة 5: إحدى النوافذ الجصية في مبنى قبة الصخرة المشرفة

وطريقة هذه الصناعة تحتاج إلى صبر وموهبة وإلى مهارات متعددة وتستلزم عدة مراحل. وتبدأ أولى خطوات المرحلة الأولى بتحديد حجم الشباك المطلوب، ثم بعمل قالب خشبي متين، وبعدها يتم خلط مادة الجبس وصبها في القالب، وعادة ما يكون هذا القالب دائرياً، أو مستطيلاً ينتهي بعقد نصف دائري، ويوضع هذا القالب على الأرض حينما تصب خلطة الجبس حتى تتماسك وتقوى.

والمرحلة الثانية تستهل بأن يرسم بقلم رصاص التكوين الزخرفي المنوي تنفيذه على الشباك، وعادة ما تكون هذه الزخارف نباتية دقيقة مع بعض التشكيلات الهندسية وغالباً ما يكون معها زخارف كتابية بخطوط جميلة متداخلة تحوي آيات قرآنية أو عبارات دعائية ويسجل فيها تاريخ صناعة هذا الشباك أو سلسلة الشبائيك التي تنتمي إلى فترة معينة أو ترميم محدد أمر به بعض الحكام والأمراء.

والمرحلة الثالثة (لوحة 6) هي أدق هذه المراحل، حيث يتم حفر وتفريغ الجص حسب التكوين المطلوب، ونظراً لأن الشباك سيكون مرتفعاً لعدة أمتار، لذا فعملية الحفر يجب أن تكون مائلة حتى يمكن مشاهدة



لوحة 6: السيد بشير الموسوس ومساعدة محمود الرويدي في ورشة الجص

الزخارف، لأنه إذا كانت مستقيمة سيتعذر مشاهدتها إلا إذا كان مستوى النظر على نفس مستوى الشباك. ويستعمل في الحفر أدوات صغيرة وحساسة لأن أي خطأ أو إهمال قد يعني إعادة صب القالب من جديد.

وبعد الانتهاء من عملية الحفر الدقيق، نصل للمرحلة الأخيرة وهي عملية تحشية قطع صغيرة من الزجاج الملون ووضعها خلف الزخارف الجصية لتشكل خلفية لهذه الزخارف (لوحة 7)، وتظهر مهارة الفنان هنا حينما يُعطي كل وحدة زخرفية لونا محددا من الزجاج، حيث تسهل على المشاهد أن يتتبع الوحدة الزخرفية بكل يسر وسهولة رغم تداخل وتشابك هذه الوحدات مع بعضها البعض.



لوحة 7: تظهر تحشية القطع الزجاجية الدقيقة من الخلف

هذه صناعة فنية تحتاج إلى حس مرهف وصبر وإتقان ومتابعة وإلى تعاون فريق فني وإداري نجده اليوم ممثلا بتواضع لكن بحرفية وإخلاص في فريق ورشة الشبابيك الجصية في لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك ويتكون من الفني الأخ الكريم بشير الموسوس الذي أتقن الصنعة وتشربها من رحمة والده، ويعاونه زملاء كرام منهم علاء المحتسب ومحمود إبراهيم الرويدي، ويدعمهم فنيا وإداريا الرسام المتقن صاحب الخبرة الطويلة يوسف البصبوص وعيسى سلهب، إضافة إلى رئيس جهاز الإعمار المهندس بسام الحلاق ومساعدته المهندس طه عويضة.



لوحة 8: أحد الشبابيك التي تم إنجازها في ورشة الجص في المسجد الأقصى المبارك

إن دقة هذا العمل وأهميته وعراقته تستدعي وقفة أوسع وأكبر وأكثر تفصيلا لا يتسع لها هذا المقام، لكن ستكون في دراسة أوسع وأشمل قريبا إن شاء الله. لكن خير ما نختتم به القول أن عمل شباك مساحته متر مربع يستغرق ما بين 120-150 ساعة عمل مضيئة (لوحة 8).

د. يوسف سعيد النتشة، درس العمارة والفنون الإسلامية في جامعة القاهرة وجامعة لندن، يعمل مديرا للسياحة والآثار في مديرية الأوقاف العامة في المسجد الأقصى المبارك ويحاضر في جامعة القدس. وضع عدة مؤلفات في عمارة القدس أشهرها كتاب "القدس العثمانية المدينة العامرة"، و"مسارات من السياحة الرديفة في مدينة القدس".

قائمة المراجع الأساسية

بالعربية

- بهنسي، عفيف، معجم العمارة والفنون، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان 1993.
- رزق، عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
- أمين محمد وإبراهيم ليلي، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (1517-1250/923-648)، دار نشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، 1990.
- بالأجنبية

Fleming, J, Honour, H, Pevsner, N, The Penguin Dictionary of Architecture, The Penguin, England, 1991

Lever, J., Harris, J., Illustrated Dictionary of Architecture, 800-1914, London, 1993

من الشبكة الإلكترونية

<http://www.discover-syria.com>
www.iasj.net/iasjfunc-fulltext&aId=69443

الحواشي:

1. أحيانا يسمى كلس (Plaster) بهنسي، 1995، 17.
2. Lever & Harris, 1993, 32, 38.
3. Fleming et, 1991, 427.
4. من أبرز هذه النماذج ما يوجد في قصر الحمراء بغرناطة (انظر لوحة 2، 3).
5. رزق، 2000، 63.
6. أمين وإبراهيم، 1990، 29، رزق، 2000، 64.
7. انظر الحواشي لمادة حبس عند أمين وإبراهيم، 1990، 28، وصفاة 29 لمادة حبس، وراجع رزق، 2000، 64-63.
8. بهنسي، 1995، 17، 38، 32، 38، Lever & Harris, 1993, 427، Fleming et, 1991,
9. أمين وإبراهيم، 1990، 28،
10. رزق، 2000، 64.
11. أمين وإبراهيم، 1990، 28، رزق، 2000، 64.
12. قصر أموي أمر ببنائه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، يقع في بادية الشام حوالي 60 كم الجنوب الغربي من مدينة تدمر. بني القصر على أنقاض قصر غسان، ولم يبق منه الكثير وفي متحف دمشق أجزاء من واجهة القصر. عن القصر انظر الموقع الإلكتروني اكتشف سورية <http://www.discover-syria.com>
13. وعن الزخارف الجصية الخاصة بالقصر انظر لوحة 1.
14. عن طراز سامراء وأصوله الزخرفية والفنية انظر الدراسة الحديثة لأحمد قاسم الجمعة، من كلية الآثار جامعة الموصل
15. www.iasj.net/iasjfunc-fulltext&aId=69443

يوم دعيت للتحقيق في متحف الآثار الفلسطيني (روكفلر)

جاك برسكيان



صورة عامة للمتحف

في القدس القديمة؛ لم يكن مُستغرباً أن تقودني أعمالُ البناء التي كانت تجريها مؤسسة العمل من أجل ترميم معمل البلاط القديم إلى استجواب مطوّل لدى سلطة الآثار الإسرائيليّة. لكنّ سلسلة التناقضات وضعتني وجهاً لوجه أمام الصبي الذي اعتاد أن يرافق والده إلى متحف ”روكفلر“ من أجل استلام وتسليم الكتب التي كان يرممها ويجلبها لصالح المتحف. لازلت أذكر ذلك السحر الذي كان يأخذني كلّما وقفتُ في منتصف الباحة ونظرتُ إلى تصميم البناء القائم على التّشكُّف المعماريّ. كنتُ أحدّقُ في الأرضيّة التي صممت لإبقاء الضجيج ضمن حد أدنى

فارضة أجواء من الرهبة في المكان إحتراما لكل هذه القطع الأثرية التي تعود إلى شعوب وأزمان مضت.

أعوامٌ كثيرة دَفَنْتَها في ذاكرتي مشاغِلُ الحياة، ونفضَ عنها الغبارُ ذلك الإستجواب.

لم يكن في اعتقادي أن رغبتني المستمرة في الحصول على فرصة للتواجد في المتحف بصفتي زائراً حقيقياً، ستثير في ذهني تناقض ذلك المكان في تلك اللحظة، وتعيد صورة الصبي الذي يرافق والده إلى روكفلر من أجل إتمام مهام العمل، واللحظات التي قضيتها في بهو المتحف مراراً أنتظر والذي أن ينهي معاملاته مع إدارة المتحف دون أن يسعني الوقتُ لأن أشيخ فضولي رغم أنني تمكنت في بعض الأحيان من إختطاف زيارات سريعة إلى قاعات العرض ذات السقوف والجدران المرتفعة الصممة على طريقة الكتيديرايات.

في طريقي إلى جلسة التحقيق التي عقدتها سلطة الآثار في متحف روكفلر؛ انُتسِفَت الصورة التي أحفظها في مخيلتي. ها أنا أدخل روكفلر مرّة أخرى، لا كصبي يرافق والده إلى العمل، ولا كزائر يتجول بين المعروضات ويتفحص تاريخه بين الألواح الحجرية والنقوش، ولكن كمتهِم يساقُ عنوةً إلى التّحقيق.

كنتُ أنتظر دوري الذي سبقني إليه زميلي رئيس مجلس أمناء مؤسسة العمل للممثل أمام اللجنة، حينما بدأتُ أسأله عما يدفع رجل الأعمال الأمريكي جون روكفلر لإقامة متحف في مدينة القدس في الوقت الذي تنتدبها فيه بريطانيا؟ وعندها قررت البحث في أصل المتحف وتاريخه.

ويمكن بدء الحكاية إستناداً إلى عام 1911 الذي شهد ظهور أوّل متحف في فلسطين داخل مدينة القدس التي كانت تخضع للحكم العثماني آنذاك. بعد ستّة أعوام، انتقلت مسؤولية رعاية هذه المجموعة المتحفية الصغيرة إلى دائرة الآثار البريطانية، تحقيقاً لبدء مهام بريطانيا الإنتدابية في فلسطين. إلا أنّ هذه المجموعة من المعروضات أخذت تتعاظم خلال عشرينات وثلاثينات القرن الماضي نتيجة المسوحات الأثرية وعمليات التنقيب الواسعة التي أجريت في فلسطين وبشكل مكثّف، مما لفت انتباه عالم الآثار والمؤرّخ الأمريكي



صورة عامة للمتحف

ومدير المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو جيمس بريستد أثناء إحدى زيارته المتعددة إلى فلسطين، إلى ضرورة إعادة النظر في مدى كفاءة ذلك المبنى المتحفي في استيعاب هذه التغيرات. قدّم بريستد مقترحاً لبناء متحف جديد في القدس، ليشكل واجهة لعرض الآثار التي كان يجري التنقيب عنها آنذاك، واستطاع إقناع رجل الأعمال الثري جون روكفلر بتقديم مليوني دولار لتمويل المشروع، واستخدم نصف المبلغ لغرض إقامة البناء وتجهيزه، أما النصف الآخر فأودع لإدارة المتحف.

أقيم بناء هذا المتحف في الزاوية الشمالية الشرقية لسور مدينة القدس، على أرض تعود إلى عائلة الخليلي الفلسطينية، كانت تسمى فيما مضى ”كرم الشيخ“ ولا يزال بإمكان الزائر حتى يومنا هذا أن يرى خلف المتحف، المبنى الذي أقامته العائلة ليكون لها مصيفاً عام 1711، والمعروف بـ ”قصر الشيخ“ وهو أول بناءٍ أقيم خارج أسوار المدينة.

متحف الآثار الفلسطيني هو الاسم الذي رافق هذا المبنى خلال تعاقب الإدارات الثلاثة الأولى التي رافقت التحولات السياسية البارزة، فعقب عام النكبة 1948 تولّت دائرة الآثار الأردنية إدارة المتحف، ثمّ أوكلت هذه المهمة إلى مجلس أمناء دولي عام 1956 حتّى أمّمه الملك حسين عام 1966. وفي أعقاب حرب الأيام الستة في عام 1967 والتي استطاعت قوّات الاحتلال الإسرائيلي خلالها السيطرة على القدس الشرقية، استولت إسرائيل على المتحف، وكان هذا هو الفصل التاريخي الذي اعتمد فيه روكفلر اسماً رسمياً للمتحف حتى يومنا، دون علم او موافقة عائلة روكفلر.

على امتداد هذه المراحل التي مرّ بها المتحف، حدثت تغييرات جذرية ، لم تكن قصراً على اسم المتحف، بل طالّت طريقة استعراض محتوياته بما هو هامّ في صلب تقديمه داخل الخطاب الرسمي بصفته واجهة بارزة في بناء السرد التاريخي لهذه المنطقة بشكل عام، ولهذه المدينة التي شكّلت على وجه خاص قلباً كان عليه أن يعيد تشكيل ذاته مراراً وتكراراً ليحتل وعلى فترات متقاربة زمنياً تقلبات حضارية مختلفة تبعاً للقفزات السياسية التي أرهقت ولا تزال ترهق محاولاته في تشكيل ملامح متفردة وطبيعية وليدة بيئتها.

وفي تراتب زمني، تستريح الآن في روكفلر معروضات أثرية يمتدّ عمرها إلى مليونيّ عام، ولكنّها في نفس الوقت توحى بطريقة عرضها ما يجسّد الرواية التوراتية التي تبلورت في أوجها خلال القرن العشرين، وأخذت منحىً مؤسساتياً طبعت به المكتشفات الأثرية في الخيلة الشعبية بمفهوم متحفيّ من خلال إجراء الحفريات الأثرية ومتحفاتها.

واتصلاً بهذا المنحى، فإن مصطلح ”المكتشفات“ كان يتم استخدامه عادةً لوصف القطع الأثرية التي يضمها المتحف. و”المكتشفات“ عادة ما تتضمن مفهوم الكشف والإلقاء وجها بوجه مع ما هو جديد، إلا أن علم الآثار في الوقت الذي تأسس فيه متحف روكفلر، كان يسعى إلى تأكيد ما هو معروف وكان يتعامل معه على أنّه عقائد وحقائق سياسية أو تاريخية من خلال عملية إنتقاء فائقة لتشكيلة قصدية من ”المكتشفات“.

وبهذا، نرى أن دور علم الآثار لم يقتصر على المجال العلمي والتوثيقي العهود، إذ تم عرض ”المكتشفات“ الأثرية بشكل انتقائي، مثل الرسم والكتابة والتصوير، كأداة فعّالة لتأكيد الرواية التوراتية التي لطالما شكّلت النافذة الأشدّ شيوعاً للنظر من خلالها إلى الرواية الفلسطينية.



أحدى قاعات المتحف

ولا زالت القطع الأثرية التي تم اكتشافها في فلسطين خلال العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين تصطف الآن على جانبي الرواق الجنوبي للمتحف، من حفريات خشبية إسلامية تعود إلى القرن الثامن وتعلق بالمسجد الأقصى، إلى ألواح وأعتاب رخامية مزخرفة كانت تزين كنيسة القبر المقدس "القيامة" خلال القرن الثاني عشر، إلى بعض من لفائف البحر الميت التي اكتشفت في وادي قمران بين عام 1947 وعام 1956.

ربما الآن أصبح بإمكانني -ولو متأخراً- الإجابة عن تساؤلات الصبي الذي كان يقف في باحة المتحف وأروقته ذاهلاً أمام العمار المشتت ما بين المشهد الهندسي الذي اعتادته ذاكرته اليومية من خلال تجواله العفوي بين الأبنية المحلية للأحياء في البلدة القديمة في القدس، والنمط العمراني الأوروبي الغريب، اللذان يجتمعان جنباً إلى جنب مع المسحة الكاثيدراية الوارفة ولكن بخشوع في سقوف صالات المتحف. هذا الدمج الذي عمد إليه كبير مهندسي وزارة الأشغال العامة للإنتداب أوستن هاريسون (Austin Harrison)، الذي صمّم المبنى في محاولة للتوسط والموافقة بين المفاهيم المتضاربة التي كان يطرحها الوجود البريطاني في فلسطين، متارجحاً ما بين ممارساته الكولونيالية من جهة والوصاية من جهة أخرى بوصفها ذلك الدور المنوط ببريطانيا الدولة المنتدبة.

عندما صمّم هاريسون متحف الآثار الفلسطيني، أسس -إلى جانب المتحف- مرفقاً بحثياً، وجاء هذا المشروع على شكل نسخة مصغرة عن خطة بريستد الأكثر طموحاً، والتي طرحها مقترحاً كان يرتجي تنفيذه سابقاً في مصر، وهو أحد أجزاء مشروع إقليمي كان يتركز هدفه حول دراسات الشرق الأدنى القديمة التي كانت مزدهرة آنذاك.

معمل البلاط الذي جمّدت سلطة الآثار الإسرائيلية ترميمه في ذلك الحين، بحجة رفض البلدية منح تصريح التجديد، والذي تمّ استجوابنا في قضية الإنخراط بعمليات حفريات في داخله، والذي أقحم في رأسي مجدداً أسئلة الطفولة العالقة منذ كنت صبياً يذهب برفقة والده إلى روكفلر من أجل أمور تتعلق بالعمل، والذي دفعني قضيته إلى البحث عن تاريخ المتحف، هذا العمل القديم، استطعنا استكمال عمليات ترميمه وتجديده عام 2013، ليصبح الحاضنة الفيزيائية لمؤسسة العمل وبيتاً لإيواء الفن، وناظرة تطلّ على القضايا الفنية في العالم من قلب المدينة التي تزداد هويتها تشتتاً وانعزالاً عن العالم، وراء حُجب دينية وعنصرية.

* الجزء البحثي من المقال يستند إلى مقالة "متحف الآثار الفلسطيني (روكفلر)"، للباحثة يارا سقف الحيط، المنشورة في مدونة المتحف الفلسطيني في آذار 2014.

جاك برسكيان هو مدير المتحف الفلسطيني والقيم العام، ومدير مؤسسة العمل، كما كان مدير عام مؤسسة الشارقة للفنون سابقاً والمدير والقيم العام في بينالي الشارقة الدولي في دولة الإمارات سابقاً.

قليلٌ من النور.. كثيرٌ من الوجود من يومياتي مع المدينة

نسب أديب حسين

تسألني: ”ماذا ستفعلين في المدينة؟“

”أريد أن أستمع الى شكواها.. أريد أن أصغي إليها. دومًا للمدينة ما تقول.“



منظر للدرج باب العمود

أغلق الهاتف أسيرٌ وعيناي
تتعلقان في الأفق.. تبحثان
عنه. صفعتني الريح عندما
رأيتُ باب الكشك موصدًا..
وتيقنتُ أن أيا سلام ليس
هناك.. كنتُ أدرك أنه
غائب.. فقد حادثُ حفيدته
يوم أمس وأخبرتني أنه
سيتوقف عن الحضور الى
الكشك.. لكنّ والدها ما زال
يفتحه حتى يتم إغلاقه..

لماذا أبيئتُ التصديق؟.. لماذا
يغيب أبو سلام عن المكان في

هذا الوقت الصعب بالذات؟ ألا يكفيني رحيل عمي سميح؟ لماذا يضيق الخناق عليّ أكثر فأكثر؟

أبو سلام الذي جلس هنا طيلة 62 عامًا لماذا ترك الإنهاك يستبد به؟ واختار أن يستسلم للغياب؟

تتوالى الأسئلة وأنا أنزل أدراج باب العمود أنظر صوبه أنتظر إجابة..

يجلس بعض العجائز على الجانبين يقرؤون صحيفة القدس، رجل ذو إعاقة في رجله، يجلس عند المدخل
عارضًا إياها لعله يستعطف بعض المارة.. أطل على الطريق المفضي الى المدينة من الباب..

أنزل الأدراج ناظرة صوب الجنود الذين تزايد عددهم عن العادة، وبائع الصحف أبو عماد الجالس هنا منذ
عقود.. ومن أثبت القدس وأنا أراه جالسًا يعلق الصحيفة قبالة الجنود.. أتساءل من سينهكه التعب قبل
الآخر هو أم هم؟

ألقي عليه تحية الصباح.. فيناولني الصحيفة، وأقف لحظة لأحديق بالعنوان الرئيسي ”جرافات بلدية
القدس تهدم بنايتين في سلوان“، ”القوات الاسرائيلية تطارد طلاب مدرسة رأس العمود للبنين“.

أنتهد وأدخل طريق الواد.. أرغب في أن أكون أقرب الى الأقصى.. الوجوه منهكة.. أرى بوضوح العيون
الناظرة صوب اللا شيء، أسمع المدينة بأبنائها تقول ”حسبي الله ونعم الوكيل“، ”الله بعين“.. أستمر..
متسائلة الى أين يأخذ الألم سكان المدينة؟

أقترب من الطريق المؤدية الى باب الناظر، ألحظ الجبهة الكبيرة لرجال الشرطة.. عدد قليل من النسوة
يتوقفن أمامهم وهم يدققون النظر بالهويات، وينهالون بالأسئلة.. ظننتُ أنهم سيسمحون لهم بالدخول..



مدخل باب الحديد

استمررتُ قدماً.. أسمع وقع قدمي على البلاط أتقدم وأشعر أنني أخرج من زمن الحاضر وأبحر عميقاً في التاريخ.. كل نظرة بأي اتجاه، تظهر كما لو أنني ألقتُ صورة أو أصور مشهداً لفيلم سينمائي.. هذه هي روعة المدينة القادرة على إدهاشي في كل مرة من جديد.. أمرٌ بعدد من العجائز يجلسون على كراس من قش يسندون ظهورهم الى الجدران.. أشعر أن العيون غائرة أكثر صوب المحجرين..

لا يُعطر الجو سوى صوت كنار يأتي من مقهى على الطريق.. "إلى أين؟" أسأل نفسي وأقترب: "سوق القطانين ومن ثم عقبة الخلدية سأمُر الى مركز العمل وألقي تحية على الأصدقاء هناك.."

سوق القطانين السوق الجميل الذي يظهر كنفق، يصبُ النور صوبه من الأقصى.. فتضفي أبعاد الأشعة المزيد من الهيبة على الجدران..

أقفُ قبالة السوق.. وسرعان ما يُطلق الرصاص على الصورة الجميلة في ذاكرتي.. السوق معتم بسبب إغلاق باب الحرم.. أتقدم بخطوات بطيئة أصعدُ الأدراج لأدخله ونظراتي تتوزع على أبواب الحوانيت المغلقة.. فقط ثلاث منها قد شرعت أبوابها. يتجه نظري الى الجهة اليُمنى، الى عجوزين يجلسان قرب حانوت في المدخل.. ألقى عليهما التحية وأسألهما منذ متى وضع السوق على هذا الحال..؟

أقترب أحدهما وأخبرني أن السوق منذ مدة وهو على هذا الحال.. سألته عن الدكاكين المغلقة، فأخبرني أنه مع إغلاق باب الحرم المتكررة، ضاق الخناق على التجار، وكثيرون يفتحون محالهم وطيلة اليوم لا يستفتحون بقرش. استمر بالكلام وأنا أتأمل وجهه.. التجاعيد الخفيفة، البشرة الداكنة، القبة البيضاء، ملامح وجهه ليست غريبة علي.. أنا أعرفه..

استمرّ بالكلام عن حال التجار الذين يأتي بعضهم من بيت حنينا وبعد سفر 20 دقيقة ودفع مواصلات يخرجون في نهاية اليوم بخسارة بسبب الصروف هنا.. مما أدى بكثيرين منهم لإغلاق أبوابهم. وأنا أعود بذاكرتي إلى نحو ست أعوام ونصف عندما كنت أعمل في مكتب للسياحة خلال دراستي الجامعية، واستغربت كيف يوجد 13 موقع سياحي في حارة الشرف والتي صارت تُعرف بحي اليهود، وليس هناك أي مكان سياحي في الحي الإسلامي، يُعرض على السياح؟

وصلت إلى هنا بحثاً عن موقع سياحي عربي أرسل السائحون المستفسرين إليه، والتقيتُ هذا الرجل هنا.. كان يعمل حارساً لمركز الدراسات التابع لجامعة القدس، واتفقنا ذات مرة على حضوري ليرشدني إلى أماكن أخرى.. فأتيت مرتين ولم أجده هنا.. وها أنا أجده فجأة وبعد كل هذه السنين.

أستمع إليه.. وأستعيد خطواتي الأولى لاستكشاف المدينة في الفترة الأولى لدراستي الصبدلة في الجامعة العبرية.. قضيتُ على خوفي من الضياع في الأزقة، لأحمل خريطة في يدي، وأخرى في الحقيبة، وأمضي كل فترة لهدفٍ استكشافي من جديد، حتى عرفتُ طرقاً بالبلدة القديمة عن ظهر قلب. أحاول أن أتأكد من ذاكرتي أسأله هل هو صاحب متجر في السوق فيخبرني أنه حارس في مركز الدراسات.. فابتسمت..

ينتقل ليحدثني عن وضع الشباب في القدس.. أُنقُ العمل الصعب والمحدود.. الأجر القليل.. وأجور المنازل المرتفعة.. وعدم منح ترخيص للبناء.. فإن فعلها الشاب وبني غرفة فوق منزل أهله.. تأتي البلدية تهدمها

وتكلفه أجرة الهدم، وإن أراد السكن في شقة مستأجرة فغالباً ما تكون الأجور فوق القدرة على تغطيتها هنا في القدس.. فيمضون نحو مخيم شعفاط أو قلنديا أو الرام وكفر عقب، لأن الأجور هناك أرخص.. لتأتي البلدية للبحث عنهم في منزل أهلهم، وإن لم يثبت خلال نصف عام أنه يسكن في القدس، تبدأ بسلب حقوقه كالتأمين الصحي.. ويحاولون عدم تسجيل أطفاله ومنحهم الحقوق الصحية.. فيضطر أحياناً هذا الشاب العودة هو وزوجته ليسكن في بيت والديه وسط الضغط.. يضيف: ”شو بدي أحكيك يا عمي الوضع كثير صعب، الناس بدها تنفجر.. الناس تعبانة“.

يخبرني أن أبواب الأقصى مغلقة.. الماركة تدور في الداخل.. تذكرت النساء اللواتي رأيتهن قريباً من باب الناظر ظننت أنهن تمكن من الدخول.. قال أن الخبر يدور عن عشرين جريح في الداخل.. أتتهذ بحزن.. يسألني إن كنت أود أن أدخل إلى مركز الدراسات، فرحبت بالفكرة لأنني لم أزره منذ سنوات.

انطلق ليحدثني عن خان تنكرز حيث المركز وعن تاريخ المكان، وذكر فجأة حمام العين.. ياه كم سمعت عن الحمام، الذي احتل عنوان رواية لعزام أبو السعود ولم أزره بعد. وعندما أخبرت أبا إياد بالأمر دعاني للتقدم صوب مكتب المركز ليطلب المفتاح ويتيح لي زيارة حمام العين.

هناك في مكتب الدراسات عرفتهم عن نفسي وعن اهتمامي بالقدس ككاتبة، أخذ أبو إياد المفتاح وطلب مني أن أرافقه وبعد أن ذكروا اسمه، تذكرت.. ووجدتني أسأله: ”أنت والد لشهيدين أليس كذلك؟“ هز رأسه وأجاب إيجاباً. نزل أدراجاً حجرية وفتح الباب.. دخلنا غرفة الإستقبال الجميلة في فنية مبناها.. وتنتقلت بين الغرف وأنا أستمع بما أسمع من شرح أبي إياد.

بعد خروجنا من حمام العين غاب أبو إياد، فطلبت من معاذ أحد موظفي المركز أن يحدثني عن مجال الدراسة في مركز الدراسات.. وشرعت حالا بالتفكير بإمكانية دراسة اللقب الثاني في الدراسات القدسية، خاصة حين قال أن لا مشكلة لكون اللقب الأول الذي أحمله في الصيدلة. قبل أن أغادر يظهر أبو إياد، الذي غاب لأداء الصلاة.. أشكره على الجولة يسألني إن كنت أرغب بزيارة حمام الشفا فأقول له أنني سأعود قريباً، فيتوجب علي المغادرة بسبب موعد العمل.

أخرج من سوق القطانين، متقدمة في طريق الواد وأسمع نفس العبارات مرّة أخرى من العجائز ”لا حول ولا قوة الا بالله“، ”حسبي الله ونعم الوكيل“.

عند الزقاق المؤدي لباب الناظر كبرت الجهرة. رجال الشرطة والجنود يحاولون أن يهدؤوا المتجمهرين بأنهم سيدخلونهم.. أقف جانباً للحظات أستمع اليهم محاولة عدم تسديد نظراتي نحو الجنود، لئلا تقودني لنتيجة غير محمودة، كما تكون العادة عندما أفعلها.. ليس لدي وقت ليحققوا معي الآن. حزن شديد يغمرني وأنا أرى هذا المنع للمصلين من الحصول على حقهم في الصلاة.. أتقدم صوب باب العمود، في الطريق يزداد عدد القادمين من الإتجاه المعاكس قاصدين باب الناظر لتأدية الصلاة. في المقهى عند المرحلة الخامسة يصدق المذياع مخبراً عن المواجهات في كوياني في سوريا ..

أخرج من باب العامود بسلام مسرعة صوب شارع صلاح الدين لأستقل سيارتي..

أمضي في شارع رقم واحد الذي كان يفصل يوماً ما بين القدس التي صارت شرقية وغربية.. أقف عند الإشارة الضوئية قرب طريق شمعون الصديق في حي الشيخ جراح.. تعاودني تلك النظرات الحزينة التي رأيتها في عيون عجائز المدينة.. لكم من الهموم ستتسع قلوب المقدسيين؟ هل لأحد أن يفهم ذاك الأمل القاتل في صدورهم، دون أن يحضر لينظر في تلك العيون في أنحاء المدينة..؟

بعد وصولي بلحظات إلى عملي في المركز الطبي القائم على أراضي بيت مزميل، سمعت زملائي في العمل يتحدثون عن عملية دهس ضد جنود من حرس الحدود في شارع رقم واحد، عند محطة شمعون

الصديق في حي الشيخ جراح، حيث مررت قبل قليل.. وقُتل ضابط في الجيش.

خروج الشاب المنفذ للعملية بقضيب حديدي من السيارة، أكد بما لا يدع مجالاً للشك أنّ العملية مقصودة، وليست من إمكانية للحديث عن حادث سير.

إبراهيم العكاري من مخيم شعفاط ابن 48 عاماً، وأب لخمسة أطفال، وصل به اليأس إلى هذا الحد.. تعاودني كلمات أبي إياد في الصباح.. فلا أستغرب إلى أي حد وصل اليأس بإبراهيم ليقدّم على ما فعل..

لكن عندما رأيتُ في المساء ابنه الصغير ابن الأربعة أعوام، عبر شاشة التلفاز.. يقف وسط دهشة أضاء الكاميرات، ويحاول أن يستوعب أنّ أحد معاني شهادة والده غيابه غداً عن أداء صلاة جماعة وإياه في الصباح.. أنّه لن يراه عندما يعود من المدرسة غداً.. ويقف أمام الكاميرا لتسأله المذيعة ما هو شعوره وأبوه شهيد..؟

أجذني أتاها، لأحرق عميقاً في عينيه من خلف الشاشة، وحين يجيب: ”أنا سعيد..“

بكيتُ وبكيت..

نظراته تشبه نظراتي التي أطلت ذات يوم، عندما عدتُ من المدرسة وأنا في السادسة والنصف من عمري وقالوا: ”أبوك مات“.. لم أفهم وقتها ما تعني هذه الكلمة؟ بكيتُ كحالة واجبة بما يفرضه الوضع حولي.. دون أن أفهم السبب.. بعد غيبته الطويلة مع رفيق جديد اسمه الموت، فهمت.. واليوم صغير العكاري يعبر عن شعوره بكلمات لا يفقهها.. بكلمات تفوق قدرته على استيعاب الغياب وما حصل.. لماذا؟

هل ستذكر الكاميرات هذا الطفل بعد أشهر..؟

هل ستذهب لتسأله ما شعوره الآن؟ وتساءل أمه كيف تعيش؟

هل سترحم الكلمات الثقيلة طفولة أطفالنا ذات يوم؟ حين يرحل الآباء بعد أن تفترس الظلمة غدهم، ويضطر الأولاد أن يعبروا عن سعادتهم بهذا الغياب؟

ما من إجابات في هذا الليل الثقيل.. الدموع تبقى النقطة في أواخر سطور أيامي هذه الفترة أكتبها كل ليلة فوق الوسادة، قبل أن ينقض علي النعاس ويحملني كما يشاء القدر إلى يوم جديد.

نسب أديب حسين هي كاتبة، تحمل اللقب الأول في الصيدلة من الجامعة العبرية في القدس، وتدرس للقب ثاني في الدراسات المقدسية من جامعة القدس. لها ثلاثة إصدارات، وهي من مؤسسي وإدارة ملتقى ”دواة على السور“، الملتقى الأدبي الشبابي في القدس.